الخاتمة

اشتمل هذا البحث على مقدمة وعدة موضوعات وخاتمة.

وقد أوضحت في المقدمة الهدف من هذا البحث وهو أن اللغة العربية هي لغة القرآن ولغة الحديث الشريف ولغتنا التي تعبر عن هويتنا وكياننا فبازدهارها نزهو ونسعد، وبضعفها نأسى ونأسف ـ وقد أصبح لزاما علينا أن نسهم في تخليصها من واقعها المتردي وأن نحث المسئولين في وزارات التعليم والثقافة والإعلام أن يولوا لغة القرآن الكريم ما تستحق من اهتمام في مناهجها وطرق تدريسها.

وقد كان الدافع المباشر للكتابة في هذا الموضوع ما قرأته عن اليوم العالمي للغة العربية الذي تحتفل فيه الأمم المتحدة بلغتنا العربية، تلك اللغة التي كنت واحدا ممن اضطلع بها، وحمل عبئها عشرات السنين باحثا ومدرسا ومشرفا وموجها، ثم كانت نهايتي معها أن حصلت فيها وفي آدابها على درجة الماجستير بامتياز في البلاغة والنقد الأدبي من كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ثم درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى في اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب – جامعة عين شمس.

وهذا الدافع المباشر الذي أشرت إليه قد حرك في نفسي دوافع أساسية كامنة، من أهمها الغيرة على تلك اللغة التي كنت أحد رجالاتها إبان ازدهارها في الماضي، وقد آلمني وأحزنني ما ألت إليه في الحاضر الذي نكصت فيه على أعقابها وصارت تنعي حظها العاثر على يد أبنائها قبل أعدائها.

وهذه الموضوعات التي يتضمنها البحث يتعلق بعضها بواقع اللغة العربية، ويتعلق بعضها الآخر بما نأمله لها من تقدم وازدهار، ومن هنا كان موضوع البحث:

اللغة العربية: الواقع والمأمول.

وقد رأيت أن نكون نقطة البداية وأن يكون الموضوع الأول (اللغة العربية) لكي أوضح أولا قيمة هذه اللغة ومكانها بين لغات العالم وأنها تشرف بأن تكون لغة الدين والدنيا معا، فهي بالمعيار الزمني من أقدم اللغات، وبالمعيار التقني من أقدرها على التواصل والبقاء، وقد نجحت هذه اللغة في استيعاب كل مصطلحات الثقافة العلمية القديمة، وتم ترجمة التراث اليوناني واللاتيني والفارسي إلى العربية مما شكل تراثا علميا هائلا ظل مرجعا مهما للنهضة الأوروبية الحديثة.

ومفتاح إجادة هذه اللغة هو حفظ القرآن الكريم في الطفولة المبكرة لتقويم اللسان وإثراء الوجدان. إن لغتنا العربية ليست في حاجة إلى بدائل ولكنها في حاجة لمن يخلصها من الركاكة والضحالة والسطحية، وينقذها من لغة هؤلاء الذين يريدون هدم قواعدها وأصولها.

والموضوع الثاني (أخطاء اللغة العربية)، وقد عرضت في هذا الموضوع لما نشرته الصحف العربية من أخطاء وذكرت تصويب هذا الأخطاء، وكذلك عرضت لما يشيع على الألسنة من الأخطاء، وقد أشرت منذ قليل إلى أن مفتاح إجادة هذه اللغة هو حفظ القرآن الكريم وممارسة أدائة السليم وأسلوبه المستقيم.

وعلى سبيل المثال جاء لفظ (كاد) الذي يدل على المقاربة ومشتقاته على كثير من الألسنة وكان خبره مقترنا بأن مع أن الأفصح أن يكون مجردا منها؛ فلا يقال: (كاد قلبي أن يطير) كما ورد في بعض خطب الشيخ الغزالي، ولا يقال: (بصورة تكاد أن تكون ملامح نظريه) كما ورد على لسان أ. سيرين، ولا يقال: (بصورة لا يكاد عقل الإنسان إدراكها) كما ورد على لسان د. زغلول النجار، لأن خبر هذا الفعل يجب أن يكون مضارعا مجردا من أن كثيرا ومقترنا بها قليلا، فالكثير والأفصح استعمال خبر كاد مجردا من أن، وقد ورد خبر كاد ويكاد في القرآن الكريم عشرات المرات وفيها كلها كان الخبر مجردا من أن، وقد ذكرت لذلك أمثلة كثيرة: يكاد البرق يخطف أبصارهم – يكاد زيتها يضيء – يتجرعه ولا يكاد يسيغه – يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ....الخ ...الخ.

وهذا يؤكد ما أشرت إليه من أن حفظ القرآن الكريم والتمرس بأدائه السليم من أهم العوامل في إتقان اللغة العربية.

وقد ذكرت هنا أسماء بعض كبار العلماء واللغويين – على غير عادتي – لأنه إذا كان يجوز استخدام اللغة غير الفصيحة فهي هنات يسيرة عند البسطاء ولكنها عند كبار العلماء تعد من الكبائر وذلك من باب (حسنات الأبرار سيئات المقربين).

والموضوع الثالث (الشباب واللغة العربية) والذي نشر بجريدة الأهرام (صفحة قضايا وآراء)، وقد أوضحت فيه موقف الشباب من قضايا اللغة العربية، وما يؤسف له من أن كثيرا من الأمهات يخاطبن أطفالهن بكل اللغات ما عدا اللغة العربية التي هي المظهر الوحيد للأصالة والإنتماء.

وقد بلغ من الاستهانة باللغة العربية أن كثيرا من الشباب يعتبرون العلم بها عيبا والمتكلم بها متخلفا.

والموضوع الرابع (الشباب والقراءة) وقد نشر بجريدة الأهرام (صفحة قضايا وآراء)، وقد أشرت فيه إلى ما يشغل الشباب من مشاهدة المسلسلات أو المباريات، وقلت إن هذا شيء حميد لهم ولا ينكر عليهم ولكنه ينبغي ألا يكون على حساب القراءة التي هي غذاء الروح والعقل إلى جانب ممارسة الرياضة التي هي غذاء الجسم والبدن، وباجتماعها تتكامل عمليات النمو في الإنسان الذي يكون مهمتة الأساسية تحقيق التوازن بين متطلبات الجسم والروح. ثم بينت في هذا الموضوع كيف تكون القراءة المفيدة النافعة، وماذا يقرأ الشباب، هل يقرأ ما يفيده أو يستفيد مما يقرأ، وبينت أن القراءة المفيدة هي التي يراعي فيها الجمع بين القراءة والفهم والحفظ والربط والأداء، كما أوضحت أن تعدد القراءة للنص الواحد يكشف عن آفاقه وأبعاده لأن النص – وخصوصا النص الشعري – لا يتضمن معنى نهائيا يأخذ شكل بعد واحد، بل إن له أبعادا متعددة، لأن لغته تعتمد على شفافية حدسية، وعلى لمعان خاطف يتموج خلف الكلمات ليضيئ عالمها المغلق، ومن هنا تتضح أهمية تعدد القراءة للعمل الأدبي الواحد، لأن القراءة السابقة تصبح أفقا

لما قبل الفهم بالنسبة للقراءة اللاحقة، ويعني هذا أن النص يتجدد مع كل قراءة، لأن لكل قراءة أثرا يختلف عن أثر القراءة الأخرى، وفي كل إعادة للقراءة يحدث أثر آخر فكأننا مع نص آخر.

والموضوع الخامس (ضعف اللغة العربية: مظاهره وأسبابه)، وقد شرحت بالتفصيل مظاهر ضعف اللغة العربية والأسباب التي أدت إلى هذا الضعف وقد ذكرت في هذا الموضوع أن مما يهون من شأن اللغة ويغرس في النفوس كراهيتها والنفور منها أسئلة الامتحانات التي كثيرا ما تأتي معقدة وفوق مستوى التلاميذ، ومن أمثلة ذلك أن يطلب من التلميذ في المرحلة الابتدائية أن يأتي بمفرد (مِعًي) ومؤنث (الأدنى) ومضاد (القِري) وغير ذلك مما لا يناسب مستوى التلميذ في هذه المرحلة.

بل من العجب أن نرى سؤالا من المرحلة الثانوية يطلب من التلاميذ أن يصوبوا العبارات الآتية: التلاميذ يسلمون على بعضهم – الأصدقاء يزورن بعضهم – المتصارعان هجما على بعضهما – الأستاذ ضم القسمين إلى بعضهما ... الخ.

ويلاحظ أولا: عدم فنية السؤال لأن العبارات السابقة ليس فيها تنويع فهي تدور حول شئ واحد وهو كلمة (بعضهم) أو (بعضهما)، وثانيا: أن تصويب هذه العبارات من شأن المتخصصين في اللغة العربية. وقد وقع في هذا الخطأ بعض كبار الأدباء الذين هم أكثر الناس حرصا على سلامة اللغة العربية.

ومرة أخرى أقول إن حفظ القرآن الكريم وكثرة تلاوته يعود الإنسان على التعبير السليم، وذلك أن هذه العبارات نفسها وردت في عشرات الآيات، ومن ذلك قوله تعالى: (وإذا خلا بعضهم إلى

بعض) – (فإن أمن بعضكم بعضا) ولم يقل: وإذا خلوا إلى بعضهم، ولا فإن أمنتم بعضكم.

وقد أوردت كثيرا من الآيات التي جاء فيها هذا التعبير.

وهناك بعض الأسئلة التي تقتل في التلميذ روح التفكير والابتكار وتلزمه بأن يكون صورة ضوئية من نموذج الإجابة بحيث لو خرج على هذا النموذج كانت إجابته خاطئة، كما أن هناك أسئلة تثير السخرية من اللغة العربية، وقد أوردت أمثلة لهذا وذاك.

الموضوع السادس (مسئولية ضعف اللغة العربية)، وقد أوضحت هنا أن المسئولية يجب أن توجه إلى أهل اللغة الذين هم جديرون برعايتها وحمايتها كما صنع أسلافهم على مدي حقب التاريخ، وكذلك يجب أن توجه المسئولية إلى العرب أنفسهم لأنهم أولي بالدفاع عنها في مواجهة خصومهم وأعدائهم، وهناك أيضا مسئولية الإعلام فقد كثرت الأخطاء اللغوية على ألسنة المتحدثين وفي كتابات الصحفيين، مما يشكل خطرا على لغتنا الجميلة التي نعتز بها، إن هناك خطورة بالغة في أخطاء الصحف والإعلانات والمذيعين والمذيعات وخطباء المساجد، والأخطاء اللغوية في المسلسلات العربية التي يتأثر بها المتلقي والمشاهد، ويجب على المسئولين إصدار قانون بإلغاء الأسماء الأجنبية على الشركات والمحلات، وإذا كان قد صدر قانون في هذا الشأن فيجب تفعيله، ويجب عدم الترخيص لأصحاب الشركات والمحلات إذا لم يغيروا الأسماء الأجنبية.

إن الجهد الأكبر والأكثر تأثيرا يجب أن تقوم به الدولة من خلال إعادة النظر في مناهج وطرق تدريس اللغة العربية وإعداد القائمين على تدريسها إعداد جيدا، ومتابعتهم بالتدريب والتقويم

المستمرين، والتشديد عليهم بعدم استخدام اللهجة العامية في أثناء التدريس داخل الفصول المدرسية وداخل المدرجات في المعاهد والجامعات. وإذا كانت هذه مسئولية وزارتي التعليم والتعليم العالي فإن وزارة الإعلام يجب أن تزيد في دورات المذيعين والمذيعات الخاصة باللغة العربية وأن تستبعد الذين لا يحسنون النطق بها في نشرات الأخبار أو التعليق على الأنباء.

إن المسئولية الأولى هي مسئولية المجمع اللغوي وأعضائه، وهم قادرون – ولا شك – على أداء ماتفرضه هذه المسئولية من واجبات نحو لغتنا التي تتعرض لأعنف الهجمات.

الموضوع السابع (احتدام الصراع حول سيبويه) فقد ثار الجدل حول سيبويه وصدرت كتب تحمل عناوين بعضها يقول (تحيا اللغة العربية ويحيا سيبويه) وبعضها يقول (تحيا اللغة العربية ويسقط سيبويه)، وإذن فلا خلاف حول حياة اللغة العربية وإنما الخلاف حول سيبويه (يحيا أو يسقط). وقد ترك سيبويه كتابا في علم النحو والصرف والأصوات ضمنه أفكاره وأراء معاصريه، ولكنه لم يصنع له عنوانا ولا مقدمة ولا خاتمة، ولكن أحد تلاميذه وهو (الأخفس) أخرجه بعد وفاته وأطلق عليه العلماء اسم (الكتاب)، وتجاوز البعض فوصفه (بقرآن النحو)، وكل النحاة الذين جاءوا بعده اغترفوا منه، وكل كتب النحو التي صدرت بعده دارت في فلكه.

وقد استمر الصراع حول سيبويه حتى عصرنا هذا، ولعل أبرز من أثار زوبعة حول سيبويه في هذا العصر هو أ. شريف الشوباشي في كتابه (لتحيا اللغة العربية ويسقط سيبويه)، ويقول الشوباشي إن اللغة العربية في حاجة إلى عمليات عاجلة للعودة بها إلى حياتها

الأولي، والحفاظ عليها يستوجب العمل على تطويرها دون إبطاء حتى تواكب متطلبات العصر في الصياغة والمفردات وقواعد النحو والصرف.

ومن هذا المنطق يذهب الشطط بالشوباشي إلى ضرورة تحرير اللغة العربية من جوامد النحو والصرف ويطالب بإلغاء المثنى ونون النسوة وإلغاء التشكيل.

ولا ندري ماذا نفعل في الآيات القرآنية الكثيرة التي ورد فيها المثنى ونون النسوة، كما أن القرآن كله قائم على التشكيل.

وقد أثات آراء الشوباشي أكبر معركة ثقافية بين العلماء، وتصدى الكثيرون منهم للدفاع عن سيبويه والتنديد بآراء الشوباشي؛ ومن أبرز هؤلاء كبير أساتذة اللغة العربية والنقد الأدبي بآداب عين شمس أ.د. محمد عبد المطلب.

الموضوع الثامن (الحفاظ على اللغة العربية وتطويرها)، والموضوعات السابقة تمثل (واقع اللغة العربية) أما هذا الموضوع وما يليه من الموضوعات اللاحقة فيمثل (المأمول في اللغة العربية).

ولعل هذا الموضوع هو أكبر الموضوعات مساحة وحجما، لأنه يتضمن ما حظيت به اللغة العربية من بين سائر اللغات الإنسانية من تكريم إلهي ضمن لها البقاء والخلود وقد أفضت في هذا الموضوع إفاضة موسعة؛ لأنه هو لب الكتاب وجوهره.

ثم يأتي بعد ذلك الموضوع التاسع وهو دور (مجمع اللغة العربية) في الحفاظ على اللغة العربية وحمايتها وتطويرها، وقد تكفل المجمع بالمحافظة على سلامة اللغة وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وملائمة لحاجات الحياة في العصر الحديث.

والموضوع العاشر والأخير (اليوم العالمي للغة العربية) الذي أحيته ونهضت به هيئة الأمم المتحدة اعترافا منها بأهمية هذه اللغة. وبالرغم من قرار الأمم المتحدة بتحديد يوم عالمي للاحتفاء باللغة العربية فإنها محاصرة داخل الوطن العربي ذاته.

وبعد، فلا شك أن هذه المعاناة التي اضطلعت بها وهذا الجهد الذي بذلته ليس هو نهاية المطاف، فما زال هناك الكثير والكثير يستحق البحث والدراسة ولعل الباحثين والدارسين من يستكمل النقص، ويقيم الأَوَد ويثري المكتبة العربية بالكثير من الأبحاث والدراسات حول هذا الموضوع.

والله الموفق والمستعان،،،

د/ السيد عبد الرحيم عطية

هذا الكتاب

هـو الكتـاب الاول الـذي تقدمـت بـه إلـي (دار يسـطرون) لطبعـه ونشـره بعـد عـدة كتـب مثـل (أسـاليب النهي والامـر في النسـق القرآني) و (نفحـات مـن الفكـر الديـني) وغيرهـا وسـوف يلـي ذلـك – بمشـيئة الله وفضلـه – بعـض الكتـب الأخـري.

ولا يسـعني الإ أن أتقـدم بوافـر الشـكر وجميـل العرفـان لـدار النشـر يسـطرون الـتي احتضنـت جهـودي، وتفضلـت بطبعهـا ونشـرها.

والله الموفق والمستعان،،،

د / السيد عبد الرحيم عطية